**ثالثا: سكـان الحضـر و سكـان الريـف**

**1- نسبـة التحضـر السكـاني:**

إنّ التمييز بين **الحضر و الريف** ليس بالسهولة المتوقعة بسبب عدم وجود معايير ضبط موحدة على المستوى العالمي، و القاري، و حتى القومي. جعل هذا الاختلاف بعض البلدان تدرج المعايير الإدارية، في عملية التمييز ومنها بلدان تعتمد على المعايير المهنية والاقتصادية، أخرى تحتكم إلى المعايير الديموغرافية، و التي هي أكثر انتهاجا في تصنيف التجمعات السكنية في التعدادات السكانية. و تعود تلك الزيادة الهائلة في نسب التضخم الحضري و نشأة المدن إلى التحضر الهائل الذي عرفته الدول النامية.

فموضوع التمييز بين سكان الحضـر و سكان البدو (الريف) يشكل أحد الاهتمامات الرئيسية في الدراسة الجغرافية و هو موضوع اهتم به كذلك الاجتماعيون، و قد تزايد هذا الاهتمام بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة التغير الكبير الذي حدث في خريطة التوزيع السكاني. و بفعل تزايد حركة تنقل السكان إلى التجمعات الرئيسية من أجل استيعاب حجم السكان الحضر في المجال الجغرافي.

نلجـأ إلى قيـاس حجـم هؤلاء السكـان بالمقارنة مع إجمالي السكان و ذلك بما يعرف **نسبـة التحضـر** و صيغتـه كما يلي:

إجمالي سكان الحضـر

100 X

**نسبة** **التحضـر** **=**

مجموع سكان المنطقة كلها (الولاية)

في الجـزائـر يمكن الحصول على نسبـة سكان الحضـر لأي ولاية أو أية مساحة جغرافية محددة المعالم و صيغتها كما يلي:

مجموع سكان التجمعات الحضرية و شبه حضرية

100 X

**نسبة** **سكان الحضر** **=**

مجموع سكان الولاية أو المنطقة ككل

و تتراوح هذه النسبة ما بين 20 % في البلدان المتخلفة، و إلى حوالي 80 % في البلدان المتقدمة خاصة بريطانيا و في الجزائر كانت هذه النسبة في سنة 1945 لا تتعدى 25 % مع الإشارة هنا إلى إضافة نصف الأوروبيين في هذه النسبة المرتفعة و هو ما يعني أنها أقل إذا ما تم حسابها بالنسبة للسكان الجزائريين فقط دون الأوروبيين، و في سنة 1966 حسب التعداد الجزائري بلغت هذه النسبة إلى 31 % من إجمالي السكان و قد تم تحديد حوالي 95 تجمـع ضمن فئـة التجمعـات الحضرية، ثم ارتفعت هذه النسبـة في تعداد 1977 إلى 41 % لتصل في التعداد الموالي أي سنة 1987 إلى 49 %.

**2- أسبـاب التحضـر السكانـي:**

إن التسارع في نسبة التحضر في كثير من البلدان راجـع إلى الأسباب التالية:

أ- ارتفاع معدلات النمو الطبيعي في التجمعات الحضرية و ذلك بثبات الخصوبة و انخفاض في الوفيات بفعل

توفر الخدمات الصحية.

و على سبيل المثال إذا كان معدل المواليد الخام هو 45 ‰ و معدل الوفيات الخام هو 10 ‰ و هو المعدل السائد في كثير من المدن النامية و هذا يعني أن معدل الزيادة الطبيعية هو 3.5 % و وفقا للراتب الديموغرافي سيتضاعف سكان كل تجمع خاضع لهذا المعدل في حدود 20 – 23 سنة.

ب- معدل صافي الهجرة موجب و هو العامل الثاني المسبب في ارتفاع نسبة التحضر.

1. المدينة مكان جاذب للسكان و تبعا لظروف مجالها الجغرافي الواسع (سياسية، اقتصادية، طبيعية و كل الظروف) يتحدد معدل صافي الهجرة لها و عادة ما يكون معدلا موجبا ففي الظروف العادية يساهم معدل صافي الهجرة الموجب في معدل النمو العام للمدن بحوالي 20 إلى 30 % و قد تفوق هذه النسبة في ظروف معينة.

**3- نمو سكان الحضر في العالم:**

في سنة 1800 كان عدد سكان العالم حوالي 900 مليون نسمة، عاش منهم 1,7 % في مدن يبلغ حجمها 100000 نسمة فأكثر، و 2,4 % في مدن حجمها 20000 نسمة فأكثر، أما التي حجمها 5000 نسمة فقد سكنها حوالي 3 % في تلك الفترة. حسب مصادر أخرى فإن 3,4 % فقط من مجموع سكان العالم استوطنوا المدن عام 1800م، و انتقلت النسبة إلى 3,5 % عام 1900م ما يعادل حوالي 219 مليون حضري، لتصل إلى 32 % ما يعادل 800 مليون نسمة عام 1950م.

تماشيا مع النمو الديموغرافي في العالم، خاصة الانفجار السكاني الذي شهد العالم الثالث خلال الخمسين عامًا الماضية فقط، فإن عدد السكان الحضر زاد بـ 1,8 مليار نسمة ليبلـغ تعدادهم 2,6 مليار نسمة سنة 1995، و 3 ملايير سنة 2000م، أي ما يمثل 48 % من مجموع السكان. هذا ما يدل على أن ظاهرة التحضر في العالم كانت سريعة جدًا بعد الحرب العالمية الثانية، و هي في تزايد مستمر، فالمتوقع أن تبلغ نسبة 61 % أي ما يعادل 5,3 مليار نسمة سنـة 2025م.

**4- معاييـر تصنيف التجمعات السكانية:**

يشكل التجمـع السكانـي لاسيما التحضـر أحد الاهتمامات الرئيسية في الدراسة الجغرافية و في ذلك تم اختيار معايير حديثة يمكن على أساسها تصنيف التجمعات السكانية أهمهـا:

أ- معيار حجم السكان.

ب- معيار وظيفي و نعني به وظائف السكان.

ج- معيار قانوني.

و في الجزائر حددت وثائق التعداد العام للسكن و السكان مجموعة من المعايير يتم بمقتضـاها تحديد التجمعـات الحضريـة و من خلالهـا حجـم سكـان الحضـر و به تحسب كما سبـق ذكره نسبـة التحضـر.

**5- نتائـج التحضـر السكـاني:**

إنه مما لاشك فيه أن نسبة التحضر السكاني الجزائري في ارتفاع مستمر و قد شهدت ارتفاعا كبيرا خلال الفترات التاريخية المتلاحقة نتيجـة إلى ما يلي:

* تحويـل العديـد من المـراكز الريفيـة إلى درجة مـراكز حضـرية بفعل التجهيزات الاقتصادية و الاجتماعية التي استحدثت في هذه المراكز.
* استمرار توافد المهاجرين الريفيين إلى المراكز الحضرية.

و أهـم معاييـر سكـان الحضـر عبر التعدادات السكانية الجزائرية لكل من 1966 – 1977 - 1987 هي كالآتـي:

**تعـداد 1966:**

- حـد أدنى من السكان 5000 نسمة.

- نسبة سكان التجمع إلى إجمالي سكـان البلدية.

- النسبـة المئويـة للعاملين في النشاط الغير الزراعي.

- حـد أدنـى من العاملين في غير القطاع الفلاحي يفوق 1000 عامل.

- معدل النمـو السنوي لسكـان التجمـع ما بين الفترة 1954 – 1966.

و عقب ترتيب كل التجمعات و عددها 1787 تجمع أمكن تصنيف 95 تجمع حضري و الباقي تجمعات ريفيـة.

**تعـداد 1977:**

- حـد أدنى من السكان يفوق 4000 نسمة.

- كل مراكـز الولايـات و الدوائـر.

- حجـم مخططـات التنميـة.

- عدد أماكن الشغل التي تم إنجازها بعد سنة 1966م.

- حجـم الإستثمـار العـام و الخـاص.

- طبيعـة المنشآت الاقتصاديـة و الصناعيـة.

- مورفولوجيـة التجمـع.

- التجهيــزات.

- معدل النمـو السنوي لسكـان التجمـع ما بين الفترة 1966 – 1977.

وفقا لهذه المعايير تم ترتيب 2233 تجمع و منها تم اختيار 211 مركز حضري صنفت كما يلي:

67 تجمـع حضـري، 29 تجمع محاذي للحضر، 49 تجمع نصف حضري، 55 تجمع مؤهل للتحضر، 11 تجمع غير مصنف.

**تعـداد 1987:**

- حـد معيـن من السكان 5000 نسمة.

- النسبـة المئويـة للعاملين في القطاع الفلاحي.

- المفهـوم الحضري العـام.

- معدل النمـو السنوي لسكـان التجمـع ما بين الفترة 1954 – 1966.

**ملاحظة:**

أما معاييـر سكـان الحضـر عبر التعدادات السكانية الجزائرية المتبقية ( تعداد 1998 م و تعداد 2008م) فقد بقيت نفس المعايير السالفة الذكر أي حسب تعداد 1987م لم تتغير. و المكانة الإدارية للتجمع وفقا لهذه المعايير تم ترتيب 3488 تجمـع منها تم اختيار 421 تجمع ممثلة للقطاع الحضري و انطلاقـا من بيانات السكـان يمكن استعراض ظاهـرة التحضـر في الجزائـر عبر مراحـل نذكرهـا في النقطـة المواليـة:

**6- مراحـل التحضـر في الجزائـر "النزوح الريفي":**

و يمكن أن نميـز خلاله فتـرات مختلفة بأحداثها التـاريخية و السيـاسية التي أثرت على حركة السكـان و استقرارهم و يمكن حصرها في عنصرين أساسيين تتخللهما مراحل مختلفة هي كالتالي:

**6-1- التحضر خلال الاستعمار الفرنسي:** و فيه المراحل التالية:

**6-1- 1- مرحلة ما بين 1830م – 1910م:**

مع دخول المستعمـر الفرنسي للجزائـر سنة 1830م و الذي تمـركز في الشمـال لاسيما المدن الساحلية و الداخلية كان عدد سكان الحضر لا يتعدى 5 % من مجموع السكان الجزائريين و هذا راجع للأسباب هي:

- القتل الجماعي و سياسة الطرد و النفي التي انتهجها المستعمر لمقاومة الأهالي.

- الاستيلاء على الأراضي السهلية لخدمة أغراضه الاقتصادية، مما أدى بالجزائريين إما بالهجرة إلى الريف أو إلى بلدان أخرى خاصة المشرق العربي.

- استغلال المستعمر للشبكة الحضرية الموجودة في الجزائر لخدمة أغراضه التوسعية و الاقتصادية خاصة.

- ربط أهم المدن الجزائرية و أقاليمها بشبكة السكك الحديدية.

- إنشاء الموانـئ بالمـدن الساحليـة منها: ميناء الجزائر، وهران، عنابة، بجاية، مستغانم، بني صاف، الغزوات، سكيكدة و غيرها لنقل الثروات الجزائرية إلى فرنسا.

إلاّ أنه ساهم في تنمية الهيكلة الحضرية في الجزائر و ذلك لتحقيق أهدافه الاستيطانية و العسكرية، إذ وضعت الإدارة الفرنسية خلال هاته المرحلة مخططات عمرانية لمختلف المدن الجزائرية من أجل:

- توسيع أنسجتها.

- إنشاء أحياء سكنية جديدة لإقامة الأوروبيين.

- إنشاء تجهيزات مختلفة بجانب الأحياء السكنية الجديدة.

- إقامة مدن جديدة يمكن تسميتها مدنًـا استيطانية تضاف إلى الشبكة الحضرية الجزائرية منها: سطيف، باتنة، سيدي بلعباس، فرندة، و التي تعد من أهم المراكز الحضرية في الجزائر.

**6-1- 2- مرحلة ما بين 1910م – 1954م:**

تميزت هذه المرحلة بالهجرة الكبيرة لسكان الأرياف نحو المراكز العمرانية بالجزائر و باتجاه فرنسا، بسبب الأزمات الاقتصادية العالية من جراء الحربين العالميتين اللتان أثرتـا سلبًـا على سكان الأرياف خاصة في النقص الغذائي، فاضطرتهم إلى الهجرة، مما أدى إلى ارتفاع عدد سكان المدن حيث بلغت نسبتهم حوالي 23,6 % سنة 1948م من مجموع السكان الجزائريين، مما عاد بالسلـب على ساكني الأرياف المهجّرين قصرا. و من هنا ظهرت بوادر الأحياء القصديرية على أطراف و هوامش المدن الكبرى و المتوسطة، فاضطرت السلطات الفرنسية لإسكان الجزائريين في مناطق هامشية ضمن مخططاتها العمرانية بعزل الأهالي عن الأحياء الأوروبيين.

**6-1- 3- مرحلة ما بين 1954م – 1966م:**

إن انطلاق الثورة التحريرية الكبرى و السياسـة الوحشية التي انتهجهـا الاستعمار الفرنسي خاصة ضد سكان الأرياف من تقتيل و تعذيب و اعتقالات و تجيـر بالقوة باعتبارهم محتضنو الثـورة، كما أنّ انعدام الأمـن جعل الآلاف من الريفيين يهجرون بيوتهم نحو المدن أو المراكز الحضرية أو نحو البلدان المجاورة، و كذلك المحتشدات التي أقامها الاستعمار الفرنسي التي كان يجْـمعُ فيها سكان الأرياف بعد حرق و نهب بيوتهم و أراضيهم.

مع بداية الاستقلال سنة 1962م عاد حوالي مليون لاجـئ من تونس و المغرب فاستوطن ما يقارب 90 % منهم المدن الكبرى و المتوسطة بينما عاد 10 % من النازحين الريفيين إلى قراهم في حين و نتيجة الظروف المزرية التي مرت بها الجزائر جعلت معدل النمو الحضري يحقق أعلى نسبه في تاريخ الجزائر حيث وصل إلى حدود 10,2 % و الباقي لا يزال يقطن الريف و يزاول نشاطاتهم الفلاحية. و إلى غاية سنة 1966م كانت نسبة سكان الحضر حوالي 31,4 % من مجموع السكان، و قد ساهم في النزوح الريفي الكثيف نحو المدن و المراكز العمرانية الوضعية الاقتصادية التي كانت في الأرياف منها:

- عدم توفر الخدمات التربوية و الصحية.

- فشل تطبيق سياسة التسيير الذاتي للقطاع الفلاحي الحكومي.

- اتجاه السكان الريفيين من القطاع الفلاحي إلى قطاع الخدمات و التي تتيح لهم امتيازات و فرص جيدة للعمل و الأجور و استقرارهم خاصة بالمدن الكبرى.

**6-2- التحضر بعد الاستقـلال:** و فيه من المراحل أيضًـا:

**6-2- 1- مرحلة ما بين 1966م – 1990م:**

إن الخيارات الاقتصادية الموجهة و السياسات المنتهجة في مختلف الميادين في هذه الفترة، هي المحفز الرئيسـي لتنامي ظاهـرة التحضـر في الجزائر، فالوسائل المستخدمة لتحقيق خطط التنمية (المخطط الثلاثي، الرباعي و الخماسي) و البرامـج الخاصـة بالتخطيط الإقليمـي و المحلي، التي شملت عشر (10) ولايات، و تطبيق الثورة الزراعية و تأميم الأراضي الفلاحية، و التوجه الصناعي كان لها أثر كبير في انتقال سكان الأرياف إلى المدن الكبرى و المراكز الحضرية، حيث فرص العمل متاحة في الوحدات الصناعية و التجارية و قطاع البناء. أما الثورة الزراعية و إقامة القرى الاشتراكية فقد أحدثت خللاً في التركيبـة الاجتماعيـة و العقارية في الريف، حيث أدّت إلى ترك معظـم الفلاحين و المزارعين لأراضيهم و نشاطهم الزراعي و امتهنوا مهنًـا حضرية، و نجد 750 قرية اشتراكية شيّدت آنذاك على أراضي خصبة، تحتوي على جميع المزايا الحضرية التي غيرت من طباع الفلاحين و تعودهم على حياة شبه حضرية، و تطورت فيما بعد لتصبح مراكز حضرية إدارية بعيدة عن النشاط الزراعي.

ففي المرحلة ما بين 1966 – 1977م هاجر حوالي 1,7 مليون نسمة من سكان الريف إلى المدن بمعدل 100000 نسمة في السنة الواحدة، و تراوح معـدل نمـو سكـان الحضـر في المدن الجزائرية خاصة الشمالية منهـا ما بين 4 – 8 % سنويًـا خلال هذه المرحلة.

أما التوجه الصناعي باعتباره المخرج من التخلف، و الذي أعطيت له الأهمية و الأولوية المطلقة في المخططات الرباعية و الخماسية من حيث الإعتمادات المالية، فقد كان له أثر كبير في دعم و نمـو الشبكة الحضرية في الجزائر سواء بالمدن الكبرى أو المتوسطة أو الصغيرة، حيث ازداد النّمـو الحضري بها بشكل كبير نظـرًا لعدد السكان النازحين من الريف.

مجمل هذه العوامل التي ذكرناها جعلت نسبة السكان الحضر إلى إجمالي السكان من 31,4 % خلال سنة 1966م ثم إلى 39,4 % خلال تعداد 1977م و يرتفع إلى 58,30 % في تعداد 1998م، أما في سنة 2008 ارتفعت هذه النسبة لتصل إلى 65,30 % أي أكثـر من نصـف السكان المقيمين بالجزائر أصبحوا حضريين، مع أن الذين يعيشون في المناطق المبعثرة لا يمثلون سوى 20 % من مجموع السكـان خلال هذه الفترة، و الجدول رقم (10) الموالي يلخص لنا تطور نسبة سكـان الحضـر على حساب سكـان الريـف.

جدول رقم (10): الجزائر تطور سكان الحضر و الريف خلال الفترة 1886م – 1987م

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| السنـة | عـدد السكـان (نسمة) | | | نسبـة التحضر % |
| الحضر | الريف | المجموع |
| 1886 | 523431 | 3228606 | 3752037 | 13,9 |
| 1906 | 783090 | 3937884 | 4720974 | 16,5 |
| 1926 | 1100143 | 4344218 | 5444361 | 20,2 |
| 1931 | 1247731 | 4654288 | 5902019 | 21,1 |
| 1936 | 1431513 | 5078125 | 6509638 | 21,9 |
| 1948 | 1838152 | 5948939 | 7787091 | 23,6 |
| 1954 | 2157938 | 6456766 | 8614704 | 25,0 |
| 1966 | 3778482 | 8243518 | 12022000 | 31,4 |
| 1977 | 6686785 | 10261215 | 16948000 | 39,4 |
| 1987 | 11444249 | 11594693 | 23038942 | 49,6 |

المصدر: الديوان الوطني للإحصـاء سنة 1987م.

**6-2- 1- مرحلة ما بين 1966م – 1990م:**

حتى نهـاية الثمانينيات هناك حالة من التشبع على مستوى المـدن الجزائريـة جرّاء النمـور الحضري لها، فظهر عجز و عدم الكفاية على مستوى الهياكل و التجهيزات الضرورية لتلبية حاجيات السكان من علاج، سكـن، تعليم، تكوين،...إلخ، و الملاحظ لسكان الجزائر اليوم يرى أن عددهم اليوم زاد بعشرة ملايين فقط في المرحلة 1998م – 2008م أي في ظرف إحدى عشرة (11) سنـة انتقل من 29 مليون نسمة إلى 33,9 مليون نسمـة نظرا لانخفـاض معـدل الزيادة الطبيعية، حيث انتقل من 3,21 % في الفترة (1966-1977) إلى 3,06 % في الفترة (1977-1987) إلى غاية أن وصل 1,61 % في الفترة الأخيرة (1998-2008)، لكن رغم ذلك فإن سكـان التجمعات الحضرية و المدن يزداد يوما بعد يوم سواء بالزيادة الطبيعية أو بالهجـرة الريفيـة، فمن نسبـة 31,4 % التي تمثل سكـان الحضـر إلى مجموع السكـان غـداة الاستقـلال 1966م إلى 58,30 % خـلال سنة 1998م، و حسب الإحصاء العـام للسكن و السكان لسنـة 2008م فإنّ نسبـة سكان الحضـر أصبحت تمثل 65,30 % من إجمالي السكان.

نلاحـظ مما سبق أنّ ما يفسر ظاهرة التحضر هو دخول الجزائر منذ التسعينيات القرن الماضي في حالة من اللاأمن و انخفاض مستوى المعيشة خاصة في المناطق الريفية المعزولة، و كذلك انتهاج سياسة اقتصـاد السـوق و الحرية الاقتصادية (اللامركزية في التسيير)، أي هيمنة القطـاع الخـاص و محدودية استثمـارات القطـاع العـام مع الظروف الدوليـة من عولمـة الاقتصـاد و حريـة التجـارة و الانفتاح على العـالم التي جعلت فكـرة التجمـع و الإقامة بالمـدن أو المراكز الحضرية ظاهـرة حتمية و مطلب و غاية كـل الجزائرييـن.